

موقف جريدة المجاهد من قضية فصل الصحراء الجزائرية

الأستاذ الدكتور عميراوي احميده

سبق وأن نشرت في كتابي: مواقف نضالية وإصلاحية¹ موضوعا بعنوان: أبعاد إنسانية للثورة التحريرية من خلال موقفها من التجارب النووية²، وأحاول في هذا الملتقى الخاص بالثورة الجزائرية في الكتابات المعاصرة تقديم ورقة مختصرة وملخصة من هذا الموضوع الذي سبق نشره؛ وهو تلبية للطلب بضرورة المشاركة، وتعميما للفائدة.

سيكون عرض هذه الورقة قراءةً من جريدة المجاهد، خلال الفترة الممتدة من شهر مارس 1961 إلى شهر مارس 1962 في الأعداد: 91، 93، 98، 100، 101، و102، 116.

والمتعارف عليه أن جريدة المجاهد تعتبر من المصادر الهامة لتاريخ الثورة الجزائرية، وهي اللسان المركزي لحزب جبهة التحرير الوطني، والتي تناولت قضية الصحراء الجزائرية وأبعادها بعمق، والسؤال الذي يمكن طرحه؛ ما هو هدف هذه الجريدة من تناول موضوع فصل الصحراء في هذا التاريخ؟ إن الجواب ببساطة هو مواكبة سير المفاوضات الجزائرية-الفرنسية حول الاستقلال، وتبنيه الرأي الوطني والدولي من خطورة فصل الصحراء.

إذ جاء في عدد 91 يوم 13 مارس 1961 موضوع بعنوان: مؤامرة الاستعمار على صحرائنا "إن الاستعمار الفرنسي لم يتخل عن روح السيطرة الاستعمارية وأنه يريد فعلا تنفيذ مؤامراته الكبرى التي تتمثل في فصل الصحراء عن الجزائر والتي بدأ ينسج خيوطها الأولى منذ أن اكتشفت حقول البترول والغاز الطبيعي في الصحراء بكميات هائلة.

1- طباعة دار الهدى، عام 2009

2- ص-ص. 79-95

إن الاستعمار الفرنسي حين أحس بأن استقلال الجزائر أصبح حقيقة لا يمكن الوقوف في وجهها، وأدرك من جهة أخرى ما تحتويه الصحراء من ثروات هائلة بدأ يضع الخطط والمشاريع لفصل جنوب الجزائر الصحراوي عن شمالها".

وبالفعل فقد جاء في الجريدة الرسمية الفرنسية يوم 5 نوفمبر 1957 قرار يلحق «المقاطعات الصحراوية» بفرنسا مباشرة.

وفي سنة 1958 أصدرت فرنسا قانونا منحت بموجبه امتيازات للشركات الغربية من أجل البحث عن البترول والغاز الطبيعي في الصحراء.

وفي عددها 93 الصادر يوم 10/4/1961 ردت على ادعاءات فرنسا حين قالت: "الصحراء مصدر ثمين للعملة الصعبة .. ففي سنة 1960 مكنا البترول الصحراوي من توفير 40 مليار فرنك ... وفي سنة 1961 سيمكننا من توفير 75 مليار فرنك. إن العجز في الميزان التجاري الذي يقدر في سنة 1960 بحوالي 8 ملايين دولار كان سيبلغ 90 مليون دولار لولا الصحراء".

وردت المجاهد على هذا بالقول: "وإذا كانت ثروات الصحراء تجعل الاستعمار يتشبث بها تشبثا أعمى فإنها ستزيدنا نحن إصرارا على التمسك بمطالبنا الثورية كاملة ... ببقاء سيادة شعبنا كاملة على كل التراب الجزائري الذي في مقدمته الصحراء".

وأكدت المجاهد هذا الكلام في عدد 98 يوم 19/6/1961 وفضحت نوايا السياسة الفرنسية الرامية إلى فصل الصحراء، وأدى ذلك إلى توقيف عمليات التفاوض بين الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة الجزائرية.

وفي عدد 100 يوم 17/7/1961 وظفت هذه الجريدة مواقف المفكرين والسياسيين من العالم لصالح صحراء الجزائر، وعرضت شهادة ليوبولد سنغور رئيس الجمهورية السنغالية بالقول: "وفي نظري إن الحكومة الفرنسية، عندما تتبدى المفاوضات الحقيقية ستعترف بالسيادة الجزائرية على الصحراء". واستشهدت بالصحف البولونية حين ذكرت "لا وجود للصحراء من دون الجزائر". وقد أكدت المجاهد في عددها 101 يوم 31/7/1961 أن "المشكلة الحقيقية في المفاوضات هي مشكلة الصحراء، وأن الفرنسيين يريدون الاحتفاظ بأربعة أخماس الجزائر، لا لثروات النفط والغاز فحسب بل لتجاربههم الذرية، ومراكزهم العسكرية أيضا، وبالخصوص للإشراف من الصحراء على كامل إفريقيا الغربية "الفرنسية".

تكون جريدة المجاهد في هذا الطرح قد بينت دراية السياسة الثورية الجزائرية، والنوايا الخفية للسياسة الفرنسية، ويتضح هذا في موضوع نشرته في العدد 101 بعنوان: الخفيا العسكرية لتثبيت الفرنسيين بالصحراء: أخطر من البترول، وخلصت إلى نتيجة وهي أن فرنسا الصحراء يعني الهيمنة على إفريقيا، وإن استقلال الصحراء يعني إنقاذ إفريقيا من حرب نووية. وأكدت المجاهد في عدد 102 يوم 14 أوت 1961 هذه الحقائق.

ولا أعتقد أنني على خطأ في القول إنه بهذا الموقف يكون قادة الثورة قد جعلوا لهذه الثورة بعدا استراتيجيا إنسانيا بحماية الشعوب مما كانت فرنسا عازمة عليه من تدمير البشرية بتجارب نووية.

وهذا الاستنتاج مبني على ما جاءت به جريدة المجاهد في عددها 102 حين بينت أهمية الصحراء الاستراتيجية العالمية، بقولها إنه خلال الحرب العالمية الثانية، تبين للغربيين أثناء المعارك في صحراء ليبيا الأهمية الإستراتيجية للصحراء الإفريقية ... فالذي يملك الصحراء إذن يكون بيده مفتاح المغرب العربي، من جهة وإفريقيا السوداء من جهة أخرى، ومن ثم يملك الباب الجنوبي لأوروبا... وهنا وجدت أوروبا الغربية أنها -في حالة قيام حرب- تكون في حصار خانق: المحيط الأطلسي من ورائها يفصل بينها وبين الولايات المتحدة بكيفية لا مجال معها للتفكير في استعمال الأفضية الأمريكية، والاتحاد السوفياتي عدوها الألد أمامها يتمتع بكل إمكانات الحرب الحديثة ومتطلباتها الجغرافية الاستراتيجية... فلم يبق إلا الشمال الإفريقي وامتداداته الصحراوية... وهكذا وجدت أوروبا الغربية أنها في قبضة إفريقيا، وأن استقلال الأقطار الإفريقية يعني استكمال حلقات الحصار الخانق عليها.

فبهذا الطرح يكون رجال الثورة الجزائرية على دراية عميقة بالعوامل المحركة للسياسة الدولية آنذاك، وبنوايا وخبايا السياسة الفرنسية، خاصة فيما يتصل بالتفجيرات النووية. إذ إنه منذ 24 أبريل 1947 تأسس في كولمب بيشار "المركز العسكري للتجارب الصاروخية الخاصة" بعد أن تبينت فرنسا حاجتها إلى الفضاء الصحراوي لإجراء مثل هذه التجارب التي لا يمكن أن تتم في ميادين التدريب التقليدية، لأن الأمر يتطلب مراقبة مجال الصواريخ، وتخزينها، وارتباطها بالطيران، وهذا الأمر لا يتم إلا في فضاء شاسع وهو المناسب جدا في فضاء الصحراء. وهذا ما يفسر موقف فرنسا من فصل الصحراء، ومحاولة عزل الموضوع في مفاوضات إيفيان.

ومن جهة أخرى فرجال الثورة الجزائرية لم يفضحوا نوايا فرنسا بالكتابة فقط، بل نظموا مظاهرات طالبت بوحدة المصير، ورفضت فصل الصحراء، وكان ذلك في مظاهرات 27 فيفري 1962، (وهي مظاهرة تستحق الذكر والتذكير)، إذ إن جريدة المجاهد نشرت في عدد 116 يوم 1962/3/9 نبأ مقتضبا عن هذه المظاهرات التي قامت في ورقلة، هذا نصه: "نظم سكان ورقلة في قلب صحرائنا المجاهدة مظاهرة صاحبة بعد حركة الإضراب الذي انتظم ونجح مائة بالمائة، وأثناء هذه المظاهرة الجبارة التي جرت في ساحة البلدية هتف الرجال والنساء والأطفال -وراء العلم الجزائري- بحياة الجبهة والجيش الوطني الجزائري".

بهذا الموقف الإعلامي الذي قامت به جريدة المجتهد، وبهذه المظاهرات، وبوسائل أخرى تكون قضية الصحراء قد تحولت من قضية جزئية ثنائية تخص فرنسا وحدها، وسكان الصحراء وحدهم إلى قضية وطنية تخص كل الجزائريين، وإلى قضية دولية.

وأكثر من ذلك فالصحراء بموقف رجالها لم تكن قطعة أرض من الجزائر كلها فحسب، أو عنوان سيادة جزائرية فقط، أو ثروة بترولية ومنجمية فقط؛ إنما كانت وسيلة دفاع عن حق الشعوب، ووسيلة دفاع عن إفريقيا بإنقاذها من تدمير نووي غربي، وهو ما عبر عنه رجال الثورة في جريدة المجاهد حين ذكرت في عددها 102 في 1961/8/14 إن خطر الحرب الذرية يهدد إفريقيا إذا بقيت فرنسا في صحراء الجزائر.